

لتبديل الأساليب والوسائل نأج عن الاستياء من الوضع الراهن وعن الرغبة في إصلاح الأمور

إذن فالمجهود الإيجابي المشترك بين الطائفة الواعية وبين المجموعة الشعبية التي تمنحها الولاء والمعونة هو ما يعرف في الاجتماع « بالحركة الاجتماعية ». وهذا التعريف يفترض أن يكون هدف الحركة خدمة المصلحة الجوهرية للشعب بأسره أو للكثرة الساحقة من أفرادها . فقيام نفر من أعضاء جمعية معينة لتعديل دستورها أو تغيير مجلس إدارتها لا يعد حركة « اجتماعية » لأن هذا التعديل يمس مصلحة الجمعية وأعضائها ولا يهدف

(١) كان اجتهاد المدارس الاجتماعية لا تعرف على ميلاد الحركات الاجتماعية ونموها مقصورا على دراسات فردية لبعض النظم السياسية والفكرية والأحزاب وما إليها من أوجه النشاط الاجتماعي . ولم يكن هذا الاجتهاد يتوخى استنباط أسس علمية يوزن بها نشاط الناس ونكتلهم لتبديل وضع من الأوضاع ويوفر للباحث ضاملا يستطيع منها أن يتقرب بخلاف الحركات الاجتماعية وأن يتنبأ بتطورها خيرا أم شرا . وتفرد تعاليم ماركس وشروح لينين وستالين عليها بأنها قد أولت هذه الناحية رعاية خاصة — لكنها أبرز ما في الماركسية من مادة « اجتماعية » . ولكن معظم الأوساط العلمية في الغرب كانت ولا تزال تعالج التراث الماركسي معالجة سلبية تعتمد تجريده من كل شيء تقريبا — من الأمانة العلمية ومن الاجتهاد الفكري الصادق وتقية بمقاييس الحبر والشر والصلح السياسية والاقتصادية والفكرية التي تفصل العالم إلى معسكرين يبدو أن لا أمل الآن في إزالة خصوصيتها

وكانت الأحداث السريعة المتلاحقة التي ألمت بالتاريخ الحديث وما أولدته من توارث وانتفاضات سياسية وفكرية حاضرة أغرى علم الاجتماع بأن يول موضوع « الحركات الاجتماعية » عناية خاصة . والفصل في تلخيص بحوث العلوم الاجتماعية على هذا الموضوع يعود إلى القرنين وذلك إثر التطورات المعاصرة التي خلقتها الثورة الفرنسية في المهتم الفرنسي وفي المجتمعات الأوروبية الأخرى . ولما اهتم الألمان بمعالجة هذا الموضوع كما نعهد على ذلك كتابات (لورنز فون ستين) و (ماكس فيبر) و (زوسارت)

Lorenz von stein, Geschichte der Sozialen Bewegung Frankreichs, Max Weber, Wirtschaft und Gesellschaft

والألمانيان محمود طيب في بحوث (روبرت ميشيلز) و (ب . باريجو)

و (موسكا)

Roberto Michels, Corso di sociologia Polinea, v. Pareto. Trattato di sociologia Generale.

أما أول الرائج الحديثة فيعتقد كاتب هذه السطور أنها للمفردة الاجتماعية الإنغولوسكونية ومنها على سبيل المثال :

H. Cantril, Psychology of social movements

S. Newman, Permanent Revolution

K. Mannheim Ideology and Utopia

R. Niebuhr Social Movements

وطائفة من البحوث القديمة في مجلات الاختصاص

على ضوء علم الاجتماع

حركات الإصلاح

للدكتور عمر حليق

الإصلاح نشاط اجتماعي . ويعرف علم الاجتماع (١) « الحركة الاجتماعية » بأنها « مجهود على مشترك تقوم به طائفة واعية من أفراد المجتمع لكسب ولاء الشعب ومعوته لإحداث تبديل في الوسائل والأساليب التي تتوخى خدمة الصالح العام » . وقد يكون قالب هذا التجديد حديثا لم يصنع من قبل ، أو قد يكون إحياء « لنموذج سبق استعماله . وفي كلتا الحالتين فإن الدافع

الإمام محمد عبده ليس بالشئ الهين اليسير ، ولكن تقنى بالرسالة واعتازها بالرأي الحر شجعتني على الإقدام من غير توان أو تباطؤ ، ولم يكده يمضي أسبوع واحد حتى نشرت كلمتي ونشر رد بعدها لأستاذ جليل ، وبذلك ازدادت إيمانا بأن الأدب والعلم بخير في مصر والشرق ، مادامت الرسالة باقية تتلأأأ طلعتها وشرق نورها

إن ثمة خاصة من خصائص الرسالة اختصت بها وحدها فهي المجلة الوحيدة التي تبا بالموضوعات دون أشخاص كتابها ، والتي تهمل التوقيع حتى تفرغ من قراءة الموضوع ، وبذلك أدت خدمة جليلة للأدب والعلم حيث قدمت إليها أعلاما مبرزين ظلوا مجاهيل خلف الصفوف ، وضحايا للآثرة والأناية حتى أخذت للرسالة بأيديهم ، وقدمت إليهم دراسات حية كانت متوارية بين أسانير الإهمال والنسيان ، وكادت تختنق بين ضوضاء السقاسف والتوافه في شتى الموضوعات . حتى أدركتها الرسالة وأتقنتها وأعادت إليها الحياة من جديد

وبعد فإن الرسالة اليوم لجديرة بأن تكون أكبر مدرسة لطلاب العلم وعشاق الأدب في الشرق ، وميدانا حرا لأبرز الكتاب ، وأقيم البحوث ، ومنبثا خصبا للرأي الحر ، والنقد الجري ، وعنوانا للثقل العليا في دنيا الأدب والعلم والفصل

محمد عبد الله السامح

لا يقتصر سوءه على طائفة معينة أو مجموعة محدودة العدد من أفراد الأمة ، وإنما يعس الكيان الشعبي بأسره ، وهو كيان له سيطرة قوية على عقول الناس وأفئدتهم حتى لو ساد الناس في بعض الحالات فتور وسلبية إزاء التجارب والمحن^(٢) ...

وقد يترتب دعاة الحركة وقادتها والشعب بأسره قبل القيام بعمل إيجابى عاجل لحل « القضايا » بتنفيذ « الأيديولوجية » ولكن هذا التريث ليس إلا نتيجة حتمية لهول الصدمة التي أوجدتها التجربة القاسية . وعلم الاجتماع يقرر بأن الذبول التي تتولد عن هذه الصدمة لا بد لها من أن تسير على منوال المساوى التي كانت سائدة في الوضع الذي أوجد الصدمة ودفع المحن والتجارب المريرة إلى النتهى . وهذا يعنى أن سلوك أولياء الأمر في الأمة المسؤولين عن هول الصدمة الكبرى وعن سوء الأوضاع الراهنة سيعمن في التحدى محاولة منه للقضاء على ما تبقى في نفسية الفرد وفي شعور الأمة من معنوية وكرامة . وهذا السلوك ظاهرة اجتماعية قل أن يشذ عنها المسؤولون عن الكرامة القومية الذبيحة وآلام النفس المذبذبة

وعلى ذلك فإن ميلاد الحركات الاجتماعية (سياسية كانت أو عسكرية أو دينية) أمر لا بد منه . . . ومبلغ حماس الحركات وإخلاصها لحل « القضايا » والتغلب عليها وتحقيق « الأيديولوجية » الإيملاحية الجديدة يتوقف على حدة الصدمة وفضاعة النتهى ويمكننا استنادا إلى هذه الحقائق الاجتماعية أن نؤكد بأن جوهر « القضايا » التي تتولى الحركات الاجتماعية معالجتها والتغلب عليها يتوقف على مبلغ الخطر الذي تتعرض له مقومات الحياة القومية ومصالح الشعب السياسية والاقتصادية والقيم والنيل العليا التي تعيش عليها الكثرة الساحقة من أفراد الأمة

أما جوهر « الأيديولوجية » — المبادئ والبرامج والأهداف — التي تؤمن الحركة وتعمل لتحقيقها فيتوقف على مفهوم الحركة وقادتها لحقائق هذه « القضايا » وأى منها كان السبب المباشر للصدمة التي ألت بالكرامة القومية وبمصلحة السواد الأعظم من الشعب . وهل سوء الجهاز الإدارى هو

(٢) ريب أن محنة المصريين واليوريين والرب والشعبين جميعا في تجربة فلسطين العالمة مثل على هذا النتهى

مباشرة خدمة المجتمع القومى الأكبر . وبنفس المنطق لا يمكننا أن نعرف « التيارات » و « الاتجاهات » الفكرية أو السياسية بأنها حركة اجتماعية . فإذا انجم الناس نحو المطالبة بحق من الحقوق أو تبديل وضع من الأوضاع ، وإذا ساد هذا الاتجاه تيارات فكرية معينة فذلك لا يعنى أن هناك « حركة » بمعناها الاجتماعى الذى نحاول أن نعالجه في هذا المقال

وأبرز ما يعنى به علم الاجتماع هو الحركات الاجتماعية التي تولد في نطاق شعبى واسع وتؤثر في صميم الأوضاع السياسية أو الاقتصادية أو الدينية أو القدامت الثقافية والخلقية للأمة بأسرها وعلى ضوء هذا التعريف فإن لنا أن نستنتج بأن للحركة الاجتماعية صبغة مزدوجة طابعها الهدف والإنشاء في آن واحد . فهي موجهة ضد وضع معين تأمل الحركة في تعديله أو إزالته ؛ وهي في نفس الوقت طامحة إلى تحقيق برامج وأهداف إنشائية ديدنها خدمة الصالح العام

إذن فالحركة الاجتماعية تستند إلى عنصرين رئيسين هما : « القضايا » التي أخذت الحركة على عاتقها حلها والتغلب عليها ، و « الأيديولوجية » — المبادئ والبرامج والأهداف — التي تنوى التقيد بها وتحقيقها بمعونة الشعب ومصطلحته العامة . وهذا التحديد يدفعنا لأن نسال عن جوهر « القضايا » وعن أسس « الأيديولوجية » التي تؤدي إلى ميلاد الحركة وإلى كسبها ولا الشعب ومعونه ، ومن ثم إلى الاستقرار والنجاح

وهنا يحسن بنا أن نقرر بأن السلوك الإنسانى لا ينشط ضد وضع ما ، وفي صالح هدف معين إلا حين يمر في تجربة قاسية تؤثر في القدامت السياسية والاقتصادية والدينية التي يعيش عليها ، وفي النيل العليا التي تنطلق بها الجماعات الإنسانية ؛ فالحرية الفردية والكرامة القومية والقيم الإنسانية الأصلية التي هي في قرارة النفس تتوازي في مجال المقارنة مع المصالح السياسية والاقتصادية . وقد تمر الجماعة الإنسانية خلال هذه التجربة القاسية في ألوان من المحن والملمات التي تمن في تحدى المصلحة الشعبية ومقوماتها ومثلها العليا وقيمتها الإنسانية ، ولكن الحركات الاجتماعية لا تبلور وتنشط للعمل الإيجابى إلا حين تبلغ هذه التجربة القاسية مقياسها ، وهذا لا يكون إلا إذا كان النتهى شاملا طام

الإصلاح وأنها أولى بالعناية من سواء

والهم عند تقرير الأيديولوجية أن توازن الحركة في مبلغ الحاس الشعبى الصادق لأوجه الإصلاح ومبلغ شعور الشعب وتقديره لأخطار « القضايا » والشاكل التى تتحدى سلامة الكيان القومى . فليس المطلوب من الحركات الاجتماعية أن تنفذ بمعالجة قضية واحدة . فالمعامل التى توفر للحركة النجاح والاستقرار عديدة ، وكثرتها تتوقف على كثرة الأخطار الناجمة عن هذه القضايا والشاكل . ولذلك فلا مفر للأيديولوجية أن تتضمن أكبر عدد ممكن من البرامج والأهداف التى تكفل التغلب على هذه الأخطار

والدراسة الاجتماعية للحركات الإصلاحية تثبت صواب الرأى فى اتخاذ قضية أو أكثر من قضايا الأمة كعنوان للأيديولوجية الجديدة ، إلا أن هذه الدراسة تؤكد كذلك أهمية إدراك الشعب للأخطار التى سببت له الحزن والساوى فى المهد أو المهود التى استقبلتها الحركة الجديدة

فالحركة الشعبية الناجحة تولد عادة فى جو اجتماعى اعتاد السماع لدعوات الإصلاح من دعاة أساءوا فهم الشاكل الرئيسية العميقة التى تواجه الأمة ، ولذلك تفشل هذه الدعوات فى كسب ولاء السواد الأعظم من المواطنين . فولاء السواد الأعظم وإخلاصه فى موازنة الحركات الجديدة هو ميزان الاستقرار والنجاح ، وعلى ذلك فإن الخطأ الذى ترتكبه معظم الأحزاب السياسية (وهى تقليد مشوه للحركات الاجتماعية) هو تصريحها بالقضايا القومية على نحو لا يستند إلى فهم أمين لضيمير الشعب ، وإعما هو فهم مشوه اقتبسه قادة الحزب من شعورهم الخاص وهو شعور تضارب فيه الصالح الذاتية - شعور يتزلف فى أغلب الحالات إلى أوساط ليست من صميم الشعب وليست عنوانا على شعوره ويقظته ومصالحه ، أوساط تنتمى إلى هذه الفئات الطفيلية التى تعيش على الشعب لا معه

والشعب - أو بالأحرى الجزء الهام منه - يتحفظ فى إعلان الولاء وبذل التضحية للحركات الناشئة إذا توفرت له عوامل نفسية معينة سجلها علم النفس الاجتماعى فى دراسات لنفسية الجماهير وعقليتها ، وطبيعة الزعامة الصالحة ومقوماتها، وإلى

ضعف القوة العسكرية أم فقدان القيم الدينية وأحلال القيم الأخلاقية وتفشى المساوى الاجتماعية ؟ وهل الخطر الذى يهدد الكيان القومى موجه من عدو يرتقب ؟ أم أن أعداء الأمة هم الفاسدون من قادتها وأبنائها ؟

وعلى مدى تقدير الحركة الاجتماعية الجديدة لحقائق هذه « القضايا » يتوقف استقرارها ونجاحها ومبلغ ولاء الشعب لها . وعلى ذلك فكلما كانت الحركة ورجلها نتاجا « شعبيا » شديد الصلة بالعناصر الأصلية التى يتكون منها السواد الأعظم من أبناء الأمة كان فهم الحركة ورجلها الحقيقة هذه القضايا صادقا أمينا ، وكانت « أيديولوجيتها » مطابقة لمصلحة الشعب متمشية مع شعوره الصادق وضميره الحى ومنفذة لما يدور فى خلد من آمال وما يطفح به فؤاده وعقله وعواطفه من حماس ورغبة فى موازنة الحركة والاندماج فيها والتضحية فى سبيلها كأحسن ما تكون تضحيات الأمم الحية فى معركة الحياة الشريفة

والحركة الاجتماعية الناجحة هى التى تؤمن بما تعمل . وتعزى القول بالعمل لا يكفى إلا إذا توفر للحركة مرونة فكرية طابعا الحكمة لا التزلف . فعليها أن توازن موازنة صادقة لحاسية الشعب - أو بالأحرى أغليته العظمى . فإذا لمست الحركة أن جزءا كبيرا من الأمة يؤمن بأن الإصلاح يجب أن يشمل إحياء القيم الدينية ومكافحة الفساد وما أولده من انحلال فى القيم الأخلاقية فجدير بالحركة أن تجعل لهذه الناحية من الإصلاح مكانا راسخا فى « أيديولوجيتها »

وإذا أدركت بأن بين المواطنين طائفة مخلصه واعية نصر فى قرارة النفس على أز. التنمية الاقتصادية والعدالة الاقتصادية والاجتماعية يجب أن تنال مكان الصدارة بين أهداف الحركة فن الخير لإيديولوجية الحركة أن تولى ذلك عناية خاصة

وإذا تحقق للحركة والمسؤولين فيها أن الحاجة ماسة لتعزيز الدفاع العسكرى إلى أقصى حد مستطاع فاعليها إلا أن تلبى هذه الحاجة - فهى لحركة شعبية صلتها وصلة قادتها بالشعب صلة الأغصان بالجذوع كقيلة بأن تضمن حماس الأمة وتضحياتها فى سبيل المناعة العسكرية ، وجعل ذلك مبدءا أساسيا من مبادئ الأيديولوجية الجديدة

وهناك طبعاً سبل لا حده من آراء الناس فى أوجه

فإن الضرورة تقتضى مجهوداً صادقاً يصدر عن الحركة والمسؤولين فيها ليقرر أولوية القضايا ويسعى جاداً مخلصاً لإقناع السواد الأعظم من المواطنين بها حرصاً على سلامة وحدة الشعور الشعبي وتماسك اليقظة العاطفية والفكرية . وهذا المجهود يقتضى حلة توحيد فكرى وعاطفى واسعة النطاق يضمن نجاحها هذه الأيام المواصلات الفكرية الحديثة — الصحف والإذاعة والأفلام وما إليها من وسائل الدعاية والثقافة الشعبية

هذا رأى علم الاجتماع فى بعض نواحي الحركات الإصلاحية، وهو رأى وإن كان لا يصح أن يؤخذ على أنه القول الفصل فى تصور الحركة الاجتماعية ونسج ثمارها فلكل حدث اجتماعى ظروف خاصة وتيارات وعوامل طارئة تتطلب مرونة لا حد لها فى الاجتهاد العلمى — إلا أن الخطوط العامة للاستنتاج العلمى تؤكد فى تواضع مقدرتها على تسليط ضوء نافع على جوهر السلوك الإنسانى

عمر عيسى

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة للمجلد الأول
من كتاب

وحي الرسالة

للاستاذ أحمد حسن الزيات

طبع طبعا أنيقا على ورق مقيل وقد
بلغت عدد صفحاته خمسمائة صفحة ونيفاً
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع
المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا
أجرة البريد

الأخطار والتجارب التى مرت بها الأمم فى نشاطها الاجتماعى ، كما أشرنا إلى ذلك فى صلب هذا المقال

وبعض هذه العوامل غامض يحمل أكثر من تفسير واحد، والبعض الآخر محدود الصفات واضح المعالم إدراكه سهل ميسور على كل دعنا نستعرض فيما يلى بعض هذه العوامل مادامنا فى حديث الاجتماع وعلمه ولو كان ذلك على حساب أدب المقال فى غير مجالات الاختصاص

١ — يجب أن تكون القضايا التى تولت الحركة معالجتها شديدة الصلة بالصلحة الشعبية العامة وبالصلحة الخاصة لأكثر عدد ممكن من المواطنين

ب — للحركة الاجتماعية الناشئة أن تبدأ بمعالجة القضايا التى بها مكان الصدارة فى شعور الناس ويقظتهم العاطفية والفكرية، وحين يقتضى الوضع تفضيل قضية على أخرى فالحركة أن تتألم قضية واحدة معالجة عامة شاملة وتبدأ فى نفس الوقت بمعالجة القضية أو القضايا التى تليها فى الأهمية معالجة جزئية — على ألا يكون لهذا التوزيع هدف غير الموازنة المادية بين أهمية القضايا فى تفكير الناس وفى مبلغ صلتها بالصالح العام وبمستقبل الحركة وأيديولوجيتها وأثر ذلك كله على الكيان القومى ومصلحته الجوهرية

ج — يؤكد علم الاجتماع^(٢) أن استقرار الحركة الاجتماعية الناشئة لا يتوطد إلا إذا كانت أيديولوجيتها حاوية لقيم وأهداف تمس المنفعة الشخصية للكثرة — الغالبة — من أفراد الشعب . والمنفعة الشخصية شئ والشعور الشعبى المشترك شئ آخر ، وإن كان كلاهما يعزز الآخر . فالأهداف الوطنية مثلاً شعور شعبى مشترك، أما المدالة الاقتصادية والمساواة الاجتماعية وصيانة القيم الدينية والأخلاقية فإنها أهداف تخدم المنفعة الشخصية لكل فرد من أفراد المجتمع ، أو على الأقل أولئك الذين حرموا منها — وهم كثر فى معظم المجتمعات الإنسانية

د — حين تختلف أوساط المجتمع فى تأكيد أهمية قضية ما على غيرها من القضايا التى يشغل بها الناس وتعالجها الحركة الجديدة^(٣) فى بحث لبرفورد نيودور آل عن نموذج للحركة السياسية الناجحة فى مجلد ٢٧ من المجلة الأمريكية للم الاجتماع